طلعنا عالحريّة

حرية، كرامة، مواطنة

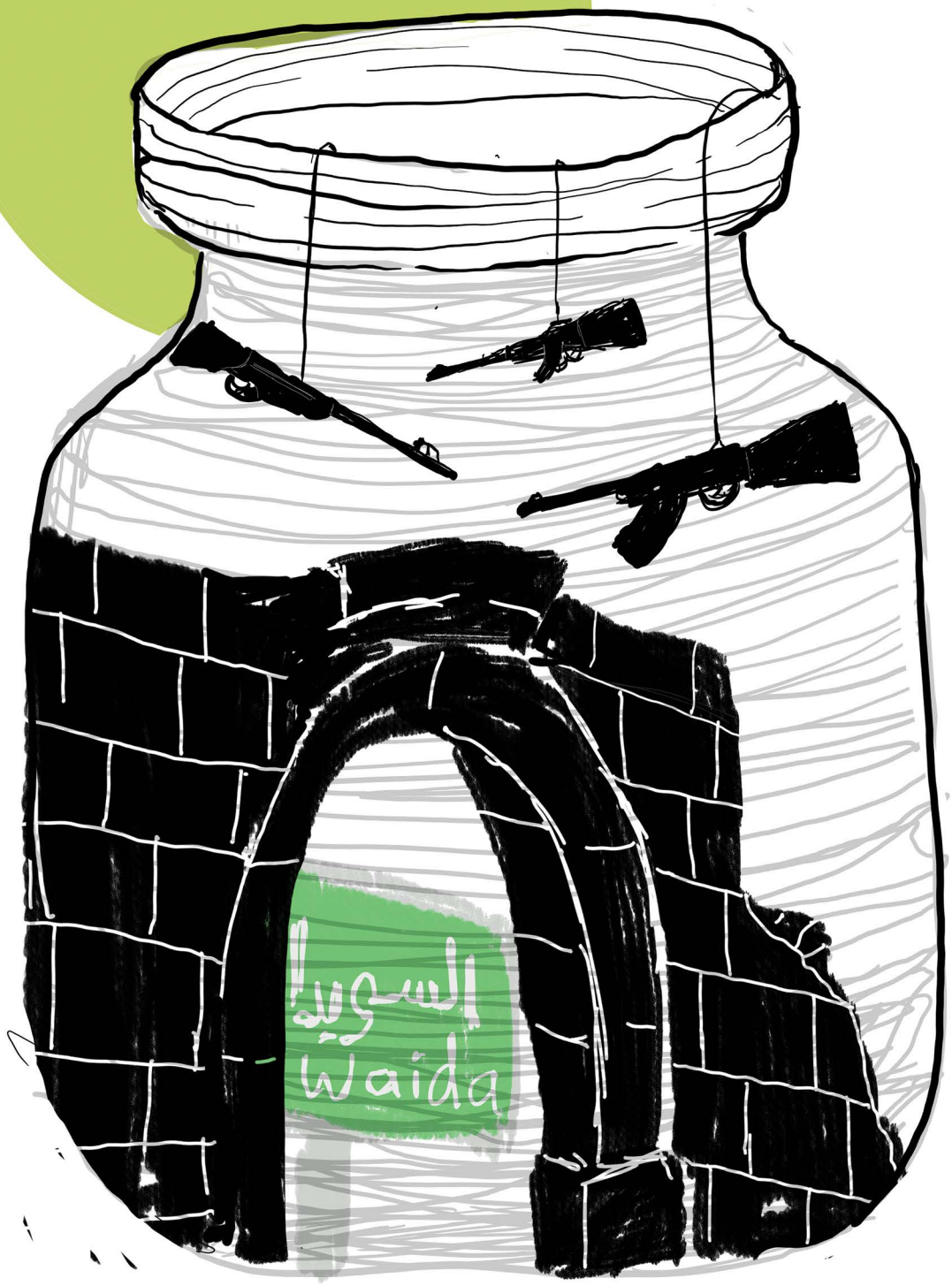

العدد 105
2022 / 7 / 31
مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

السويداء والمهمة الصعبة

افتتاحية العدد بقلم عاطف عامر

هناك قوانين تسري على المجتمعات دون تدخل الإرادات الذاتية لأفرادها، قوانين تعلو فوق مشيئتهم؛ فلا التمرد قرار ولا الانتفاضة اتفاق، هي لحظة يُوجبها هذا القانون الأعلى. ودور الإرادة الفردية هو إما أن تكون مع هذه اللحظة، لحظة التغيير، أو تحاول عرقلته. ينقسم الناس بأدوارهم بين هاتين الخانتين..

غالبية المجتمع المحلي في السويداء اختارت في الأيام السابقة قرارها بتنظيف المحافظة من عصابات استباحت كل القيم الاجتماعية الموروثة في المحافظة؛ قيم تقديس الضيف، قيم الكرم وإغاثة الملهوف ورفع الظلم، وكونها قيم موروثة هي دائماً بحاجة لإعادة توطين، لإعادة توكيد.. تلك العصابات كانت على الضدّ من ذاك التوكيد، بل على العكس هي بدأت بتشريع قانونها؛ وقانونها هو الجريمة، وكل جرم يمرّ بدون عقاب أو حساب يتحول لشريعة في المجتمع، وهذا ما حدث؛ صار الخطف والسلب والقتل هي يوميات عشناها لسنوات خلت..

في الأيام السابقة اتخذت غالبية المجتمع المحلي، بعد تراكم هائل من الضيق والصبر على الاستهزاء بكرامات الناس وحياتها وأرزاقها، اتخذت قرارها بتوكيد قيمه الموروثة وإعادة إنتاجها بكنس هذه العصابات بالقوة. الصدام المسلح الذي حُسمت نتائجه في يوم واحد! فقط يوم واحد، كانت الناس فيه سيلاً جارفاً في الذهاب للمواجهة، وهناك منهم من ذهب دون سلاح. نبع السيل أن القيمة الموروثة العليا هي كرامة الناس.. الكرامة التي اشتاقت للتوكيد، لإعادة التوطين، ولأن تكون هي البوصلة.

قانون التجمعات البشرية، أنه عند غياب القانون وغياب الدولة ككائن ينظم العلاقة بين الناس، تنوس العلاقة بين الناس، في أن تكون علاقة استغلال وظلم، وأن يكون الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان. أو أن تكون علاقة ناظمها عقد اجتماعي بين الناس، يرى في العدالة أساساً وقطباً جاذباً.

ينوس التجمع البشري بين هاتين العلاقتين، ويرسم تاريخه، ويُدرك أن تحقيق العقد الاجتماعي هو جهد ونضال وعمل شاق؛ جهد هو يقين وإيمان أن التاريخ هو ليس إلا إنجاب إرادة العدالة.. إرادة العدالة التي تتجسد فيما بعد بمؤسسات قضاء ومحاكم وشرطة مدنية وقوانين وتوابع كثيرة.

السويداء التي قضت على العصابات وإرادة الجريمة لن تنجو إلا إذا أكملت المشوار باتجاه استعادة جسد إرادة العدالة، والذي هو القضاء النزيه العادل الصارم، الناس أمامه سواسية، وتحرير القضاء والنيابة العامة من تغوُّل الأجهزة الأمنية؛ تحريره أي استقلاله وسيادته؛ أن يكون للقضاء السيادة على كل مسؤول في الدولة وكل خارج عن القانون.

لا مستقبل لأي تجمع بشري الكبير فيه يأكل حقوق الصغير، المستقبل المفتوح والفاتح ذراعيه هو لعلاقة سوية بين البشر، هذه العلاقة وسيطها هو محكمة ترتكز على ثلاثة أعمدة (قاضٍ، محامي دفاع، نائب ممثل للحق العام) ولكلمة "عام" هنا جذر معرفي يصل لقرون. كلمة "عام" تعني أن كل اعتداء على أي فرد هو اعتداء على المجتمع بكامله. الثلاثة أعمدة يتجادلون على أرضية الكتب والدساتير والقوانين التي درسوها. جدالاً بين ثلاثة هم خريجين جامعيين أكفاء.. جدالاً لإحقاق الحق ونصرة المظلوم، ولإعادة توكيد الموروث، لكن بوسائل صحيحة..

هو الطريق الأوحد والشاق لمستقبل ممكن، هو الطريق لجعل الحياة ممكنة، هو الطريق لتحويل هذه الجماعة البشرية في الجنوب السوري إلى مجتمع. فالمجتمع ليس مجموعة من الأفراد كما هي مناهج البعث، المجتمع هو كينونة عظيمة يتم إنتاجها بتصحيح العلاقة بين الأفراد من علاقة "ذئبية" إلى علاقة محبّة وتشارك وتكامل، والتشارك يكون بين أفراد متساوين بالحقوق، ومختلفين بتنوعهم وآرائهم وتوجهاتهم..

في المساواة الحقوقية تنتفي الحرب، ويصبح السلاح لا معنى له..

طلعنا عالحريّة

شهرية ثقافية، اجتماعية، سياسية، تعنى بالشأن السوري

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

نائب رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/rising4freedom

twitter.com/freedomraise

freedomraise@gmail.com

المدير الإداري	الغلاف	كاريكاتير	أمن رقمي ومحاسبة	زملاء مختطفون في سوريا
معتصم أبو الشامات	سمير خليلي	سمير خليلي / هاني عبّاس	وائل موسى	رزان زيتونة - ناظم حمادي

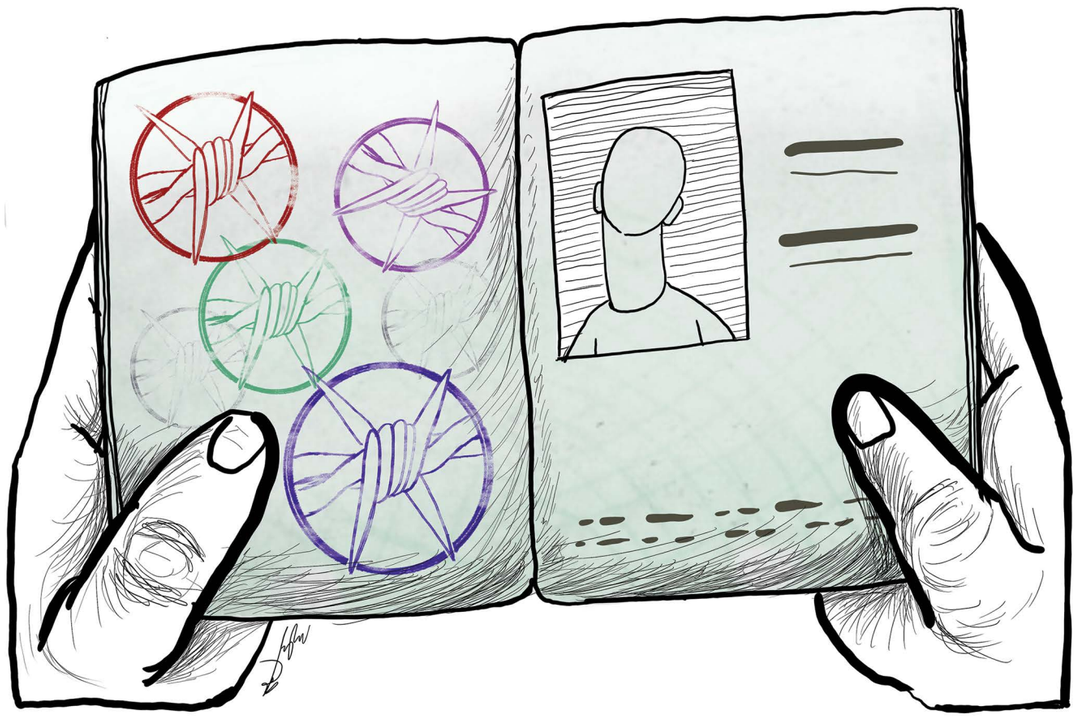

السويداء بين تموزين

جمال الشوفي

كان عنوان تموز 2018 هو إخضاع السويداء بالمساومة على نسائها المختطفات من قبل "داعش"، والنتيجة جرّ أبنائها للخدمة العسكرية، فيما أن عنوان تموز 2022 هو إخضاع السويداء لحكم الميليشيات، التي تؤمن طرق التهريب والمخدرات، دون أن تجد من يقف أمامها. وكلا التموزين فشلا في تحقيق هذه الأغراض.

بين تموز 2018 وتموز 2022 مرت أربعة أعوام، تغيرت فيها معالم السويداء كما هو حال المسألة السورية بعمومها. فإن كان الاستعصاء السياسي الناتج عن تنازع الأجندات الدولية جيوبوليتيكياً في إيجاد منافذ للحل العام في المسألة السورية، هو عنوان عام للمسألة السورية في الأعوام السابقة؛ فإن السويداء، وكجزء منها، تتشابك أحداثها وتختلط أوراقها وتتغير معالم الحدث فيها، وربما يكون العنوان الأبرز فيها: تماسك ووحدة أبناء السويداء لمواجهة هجوم "داعش" في تموز قبل أربع أعوام، إلى ما بدى على أنه تفتت في قواها وتماسكها الذاتي ومعالم اقتتال داخلي تستعر ناره تحت الرماد قبيل تموز 2022 الحالي..

أبرز معالم تموز 2018 أنه أثبت فكرة تماسك السويداء عصبياً، بمختلف مكوناتها المعارضة والشعبية والموالية لأي هجوم خارجي، ومسؤولية الروس الأولى والمباشرة، ومن خلفها السلطة السورية، عن هجوم "داعش" لقرى المنطقة الشرقية من محافظة السويداء، خاصة بعد سحب قوات الجيش من أطراف المحافظة الشرقية، وترك المساحة مفتوحة أمام التنظيم لدخول القرى الآمنة.

منذ تموز ذاك، بقيت السويداء ساحة مفتوحة لملفات عدة، أهمها تخلف أبنائها عن الخدمة العسكرية، وعدم إمكانية افتعال حدث عسكري مباشر فيها؛ لكونها من "الأقليات" التي لا تنطبق عليها صفات الإرهاب المزعومة. أضف لتجاذبها جيوسياسياً؛ لوقوعها في المنطقة الجنوبية المحاذية للأردن والبادية الشرقية السورية، الموقع الذي أهّلها لتكون معبراً لتهريب المخدرات والسلاح عبر الحدود للأردن، ومنها لدول الخليج. فيما معادلة السيطرة عليها وإتباعها لمشروع ما انفصالي، أو إخضاعها بالقوة فشل سياسياً حتى الآن. لكن الفوضى العامة كانت سمتها الأبرز للأمس القريب. فالتماسك العصبي لأبناء هذه الأقلية بدأ بالتزعزع والاختلال، وبدأت تطفو على السطح عصابات الخطف وتهريب المخدرات والسلاح، الموقف الذي استدعى الأردن للإعلان الرسمي والمحذر من تغيير قواعد الاشتباك لمواجهته مؤخراً.

تتويجاً لهذا، وبعد غزوة روسيا لأوكرانيا، بدت معالم الانسحاب الروسي من بعض المواقع السورية عسكرياً، ومنها السويداء، وتركها ساحة مفتوحة للتمدد الإيراني. هذا التمدد الملحوظ بشكل غير مباشر من خلال الأذرع التي باتت الأوضح على ساحة المحافظة وتحاول فرض سطوتها عليها.

في تموز هذا العام 2022، كانت تتبدى بوضوح معالم اقتتال داخلي بين أبناء السويداء أنفسهم، حيث تمت تنمية وتعزيز فصيل محلي يتبع للمخابرات العسكرية، كما أثبتت البطاقات الأمنية التي يحملها أصحابها، أطلق عليه حركة الفجر، والذي بات يُهيئ ليصبح قوة أمر واقع من أبناء السويداء أنفسهم، وبرعاية وتعزيز أمني وميليشوي إيراني ومن حزب الله اللبناني، حسب اعترافات أفرادها، ليفرض سطوته وهيمنته على المنطقة.

الفصيل تحول من مجرد ميليشيا للخطف والسلب إلى مكون بذاته، توكل إليه مهمة تصفية مجموعات وأفراد منها المسماة مكافحة الإرهاب، أو عدد من عشائر البدو ساكني حي المقوس في المدينة، إلى ادعاء محاربة مروجي المخدرات، فيما كان مقر الفصيل نفسه معملاً لإنتاج وتوزيع المخدرات، كما كشفت أحداث اقتحامه من قبل أهالي السويداء! وليس فقط الطلب من عائلات السويداء أن تحج له لطلب الصفح وتقديم فروض الطاعة، ومحاولة فرض هيمنته على المنطقة الشمالية من السويداء. الأمر الذي وصل لمدينة شهبا، حيث قام بخطف عدد من أبنائها من آل الطويل ومحاولة فرض شروط خضوعهم ومن خلفهم كامل شهبا لفصيله، الأمر الذي تطور لالتحام أهلي جماعي من أبناء شهبا وإغلاق الطرق المؤدية لها بما فيها طريق دمشق الرئيسي وعدم رضوخهم لسطوة فصيل الفجر هذا.

لم يتأخر رد أبناء السويداء بالدعوة لتماسكهم المحلي مرة أخرى، ورفض سياسة الاخضاع والفلتان الأمني، لا وبل تحييد موضوعة الاقتتال المحلي إلى موقف شعبي موحد متمثلاً بالحاضنة الشعبية وفصائل السويداء ذاتية التسليح ومقدمتها حركة رجال الكرامة، بالتوجه لاجتثاث هذه العصابة وعنوانها المطروح: لا نرضى حكم الميليشيات، ولا كبير في السويداء إلا الكرامة وعزة النفس. نحن مع حرمة الدم السوري، ومع تفعيل دور المؤسسات القانونية والقضائية، مع التغير العام لمصلحة الكل السوري، ولكن ما دامت هذه المؤسسات معطلة عن الفعل بحكم سطوة الأجهزة الأمنية فمن حق الواقع المحلي أن يطرح معادلته الواقعية التي عبر عنها الشيخ أبو حسن يحيى الحجار، قائد حركة رجال الكرامة، قبل أيام من اليوم: "ما لم تقم مؤسسات الدولة بدورها بالتغيير، فنحن سنصلح ونغير".

ثوابت السويداء لليوم: لا للفتنة الداخلية، نعم للموقف الشعبي الموحد، لا للقتل والدم، نعم للعدالة والقانون، وإن كان معطلاً لليوم، فنعم للعرف الاجتماعي الأخلاقي كعرف عام تقبله كل المجتمعات البشرية حين يعطل فيها القانون والقضاء وترفض سطوة العصابات المارقة والاتجار بالمخدرات والسرقة والخطف. لا لحكم الميليشيات ونعم للتغير السياسي الذي يفضي إلى تحقيق العدل وسيادة القانون. لا لتلظي السلطة والميليشيات الإيرانية بتأليب أبناء الجبل على بعضهم بغية تحقيق مآربها بإحكام الهيمنة على السويداء كمعبر لتجارة المخدرات والسلاح، بل يجب كشف مخططاتها للعلن، محلياً ودولياً. فإن كانت المعادلة التي فرضت على السوريين: النظام أو الإرهاب، فإن معادلة السويداء كانت هي النظام أو العصابات، ولكنها معادلة مرفوضة بالسويداء كلياً.

لقد تأخر موقف السويداء لعلاج هذه الظاهرة تحكيماً للعقل والسبل السلمية للحل، فقد وقفت أمام مفترق طرق تبحث فيها عن آلية ناجعة لعلاج هذه الظاهرة، فبادرت بمظاهرات شعبية سلمية بداية هذا العام، وحاولت مراراً الضغط باتجاه تحسين الأوضاع القانونية والسياسية والاقتصادية، لكن أجهزة الدولة ومؤسساتها لا ترى ولا تسمع، بل تعزز سطوة الميليشيات! ليقف المجتمع الأهلي والوجدان العام للناس في حيرة في اتخاذ إجراء نهائي في هذه المرحلة. فأي إجراء جذري قد يقود لمقتلة داخلية تؤدي لتفكك النسيج المحلي وتأجيج الاقتتال الأهلي بين عائلات السويداء. كل هذا والسلطة والأجهزة الأمنية مراقب بل معزز خلفي لهذه الفتنة والمستفيدة منها بكل أوجهها. ولكن الحكمة والعقل أيضاً تقول لا للذل، لا للهوان، لا لحكم الميليشيات؛ فتاريخ السويداء الوطني لا يسمح للعابثين فيه بالتمدد أكثر. فكان القرار في تموز هذا، وبالتزامن مع ذكرى تموز داعش 2018: التماسك المجتمعي والوقوف بوجه العصابات واجتثاثها، كموقف مجتمعي عام، لم يتطور بعد لموقف سياسي خاص، بقدر أنه يمس الموقف الوطني السياسي العام السوري بضرورة إحداث التغيير السياسي والانتقال من حكم الميليشيات إلى حكم مؤسسات الدولة وإقامة العدل وسيادة القانون.

موقف أبناء السويداء لليوم يظهر التعقل، حقن الدم بكل الطرق السلمية، الوقوف عند كرامة الناس وتاريخها، وهي مواقف وطنية أخلاقية ذات عمق مجتمعي راسخ، تتطلب من مثقفيها وسياسيها ورجالها الاجتماعيين الوطنيين إنارة هذه المواقف الوطنية متخذة منها أساساً للتغيير السياسي العام الوطني. إذ لازال بإمكان السويداء أن تلعب دوراً حيوياً في المعادلة الوطنية السورية، وئذ يبدو قول العقل والحكمة أن لا حل جذرياً بالسويداء إلا بحل جذري في سوريا كاملة؛ حلّ يقيم العدل وسيادة القانون، يحفظ كرامة الناس وحرياتهم العامة والشخصية، ويغير المعادلة السياسية فيها من حكم سلطة إلى حكم المؤسسات. فإن كان هذا الحل بعيد المنال لليوم، فمن الحكمة والعقل أيضاً ألا ترضى السويداء بسطوة الميليشيات، وأن تعود لتماسكها الوطني في مواجهتها ورفض الانزلاق لمشاريع فتنة داخلية أو حركات انفصالية، وهذا هو عنوان تموز هذا الصيف. ليبقى السؤال المطروح: هل تتوقف السويداء عند حدود مجتمعية باجتثاث هذه العصابات، أم تتحول لمقدمات في طرح المسألة السورية في التغيير السياسي المطلوب؟ سؤال برهن السوريين جميعهم، وليس أبناء السويداء وحسب.

انتفاضة الجبل
من النصر الشعبي إلى استحقاقات المستقبل القريب

حمزة العربي

شكل النصر الشعبي في محافظة السويداء إحراجاً ومفاجأة غير متوقعة للنظام ولإيران على السواء، وظهر هذا الإحراج في تصريح لونا الشبل "كل ما يشاع عن أن الدولة هي من تدعم راجي فلحوط غير صحيح، الدولة السورية ستبقى الداعم الأساسي لأبناء السويداء، أبناء العزة والكرامة، راجي فلحوط أحد أخطر المطلوبين للقضاء السوري بقضايا الخطف وفق المرسوم رقم 20 لعام 2013 الصادر عن السيد رئيس الجمهورية العربية السورية".

هذا التصريح الذي يدلل على سيناريوهين محتملين؛ إخفاء فلحوط وهو احتمال ضعيف، أو عمل مسرحية محاكمة سريعة والتخلص منه، ضمن ادعاء كاذب بأن القيادة غير راضية عن تحركات فلحوط.

بكل الحالات فإن الفزعة التي حصلت لاجتثاث ميليشيا فلحوط وبالتالي بتر ذراع إيران الأقوى في السويداء عبر الأمن العسكري هي ضربة موجعة للوجود الإيراني في مجمل الجنوب، وأعتقد أنها فرصة مواتية للاستثمار السياسي لحزب اللواء المثير للارتياب لكي يتقدم خطوات في السويداء ويسعى لاستثمار النصر الشعبي بطرقه المعهودة.

غني عن التعريف الاتفاق الإماراتي- الأردني- الروسي- الأمريكي حول تمكين كل من قوات مكافحة الإرهاب وقوات الفيلق الأول التابع لروسيا في السويداء ودرعا لعمق يبلغ حوالي 30 كم عن الحدود الأردنية، مع الإبقاء على معبر نصيب بيد النظام، على أن يتم استقطاع مبالغ منه لتمويل هذين الفصيلين. وفعلياً هذا ما تم الاتفاق عليه في الاجتماع الأخير الذي حصل في دولة الإمارات، والذي جمع مالك أبو خير رئيس حزب اللواء، وأحمد العودة رئيس الفيلق الأول التابع لروسيا في درعا، وأطراف أخرى.

الفراغ الذي نتج من استئصال ميليشيا قوات الفجر سيكون فرصة مغرية ومجانية لتحقيق المشروع الذي بادرت بطرحه الأردن، والتحدي كبير أمام محافظة السويداء لتشكيل لجان أهلية تعمل على أكثر من مستوى ولإدارة أكثر من ملف؛ كالملف الأمني، والملف الصحي، والإداري والملف الأهم هو الملف السياسي، الذي يحتاج لدراسة عميقة بالتركيبة الداخلية للمحافظة وللأفخاخ المحتملة التي غالباً ما تستخدمها الدول في سبيل الاستثمار السياسي بما تتضمنه من وعود وعهود ليست صادقة غالباً، والتي طالما استخدمت الحرب بالوكالة لتحقيق غاياتها بواسطة دم الناس البسيطة المأزومة بالوضع المعيشي الصعب.

على عاتق الشرفاء في المحافظة في هذه المرحلة الحساسة مسؤولية تنظيم صفوفهم والتقدم خطوات في اتجاه التمكن من الأرض والناس، والامتداد باتجاه أجهزة الدولة وتحريرها مع الوقت من قبضة الفاسدين المتحالفين مع القوى الأمنية، أيضاً هناك مسؤولية على رجال الكرامة والغيارى من المحافظة لحماية هذا التقدم المدني.

إن سيطرة أي فصيل مدعوم من جهة خارجية، كحزب اللواء الذي يتذرع بانفصاله عن قوات مكافحة الإرهاب أو غيره من الفصائل ذات التمويل الخارجي، يعني حرفياً استخدام دماء وأحلام المجتمع المحلي في حروب بالوكالة المنتصر بها هذا الطرف الخارجي أو ذاك، والخسائر الفادحة من مجتمعنا. فاللاعبون قد يربح أحدهم ويخسر الآخر لكن من لا إرادة له هو فعلياً خارج اللعبة، ولن يمتلك أي احتمال للفوز. بل هو من أحجار الشطرنج التي يضحي بها المتنافسون على سوريا دون رحمة.

فهل يستطيع الشرفاء في المحافظة أن يكونوا بمستوى الحدث؟ سؤال سنرى إجابته في الأسابيع القريبة القادمة.

بين المبدع والمعتقل

يوسف صادق

حينما كتب درويش "أحنُّ الى خبز أمي.. وقهوة أمي" كان المعتقل غولاً يأكل براءته. وسمع أيمن العتوم كلامه "وتكبر في الطفولة" ليردّ عليه عبر بطله في رواية "يسمعون حسيسها" بأنه لوّح لسجّانيه لا إرادياً عندما غادر المعتقل، فقد ألفهم حتى صاروا وصار المعتقل جزءاً منه لا ولن يفارقه! لستُ ممّن يقولون المعتقل سبب الإبداع، فهذه العبارة ملتبسةٌ تحمل الخطيئة في قالب الحقيقة.

المعتقل هو ذاكرتنا الفردية والجماعية، بدءاً بالعادات والتقاليد، انتقالاً لأذرع المنظمات الحزبية، وصولاً لكم الأفواه في الوطن السجن.. نعم السجن الكبير الذي نعيشه اغتراباً عن إنسانيتنا وحقوقنا وطموحاتنا.

كل كلمة نطقنا بها كانت مكممّة، وكل فرح كان مغموساً بالوجع، كل كلمة ليلٌ طويلٌ يخيّم على طرقاتنا، يحفر في عروقنا، ويبذر الحكايا..

ألف حكاية وحكاية يرويها المعتقل، عن وجع، عن أمٍّ تنتظر، عن طفلةٍ في الفراغ، عن شبابٍ وعنٍ ضياع.

السؤال هنا مصيدةٌ لابدّ منها، هل كنّا بحاجة لهذا الكمّ من الألم كي يُولد الإبداع؟ وهل هنا نزيّن مصدر الإبداع، أم نحيّده عن المحاكمة؟ أم الأجدى أن نقول الإبداع خبرة الألم وتوق الحرية.

حينما تتكلّم الأرقام يختفي لون الكلمات؛ مئات الكتب، روايات، قصص، شهادات، دراسات، كلّها عن المعتقل، ليس أوّلها "شرق المتوسط"، وليس أخرها "مجزرة التضامن"، ومجزرة ما يُسمّى بالعفو.

والكلمات التي اختفى لونها، صارت خطايا تلاحقنا، صارت سياطاً لجلد الذات، خطايا مسيرتنا في ظلال الطاغية، في التماهي مع قوانينه، حتى بات المواطنون جمهوراً ثم قطيعاً في مزرعة. أمّا السياط فتلاحقنا لأننا سرنا مع "الفرقة الضالّة" على حد تعبير حسن حنفي، نجلد ذواتنا لأننا عاجزون أمام الطاغية، وأمام أنفسنا، وأمام أمٍّ تنتظر ابنها أمام المعتقل.. ثم ماذا؟

نعود للمعتقل عبر مصطفى خليفة وأيمن العتوم وروزا ياسين حسن وهبة الدبّاغ وآخرون، يضيق المقال عن اتساعهم، الأرقام صارت بشراً توثّق الجريمة الكبرى، حينما يبني الطاغية مجده فوق هياكل مَن قالوا له: "لا!"..

حينما يصبح الوطن بحجم زنزانة، والجلاد هو المواطن نفسه في الفرقة الناجية؛ يجلد، يقتل، يغتصب، كي يترقّى في سلّم أسياده. الجريمة الكبرى هي ما نحن عليه الآن بعد عقود من الزمن، وقد اتسعت الزنزانة لتصبح وطناً، بكل ما فيها من إذلال وخوف وبشاعة. وانكمش الوطن ليصير حلم معتقلٍ يتلصص من ثقبٍ يطلّ على المدى.

رصد هذا الأدب ما آل إليه الواقع الاجتماعي والنفسي من جهة، ومن جهة أخرى بات وثيقة إدانة لسلطة همجية، تنتظر شخوص هذا الأدب مَن يقرأها، لتفصح عن بناء مستعمرة الخوف من ضياع الحلم، ومستعمرة المال والسلطة من هياكل أجسام المعتقلين.

كلّ قصة حدثت بين جدران المعتقل تدعونا لمعرفة كيف بنى هذا الهيكل المزعوم، حينها نبتعد عن جلد الذات، ونرى أنفسنا بوضوح في قصص أدب المعتقل. ليس الفضل للمعتقل، بل لخبرة الألم الكبيرة لشخوص كُتب على جلودهم تاريخ الطاغية. انطلاقاً من هذه النتيجة يكمل القطار حفر أنفاق جبال الخوف، كما حفر المعتقلون الفلسطينيون أنفاقاً بأعتى سجون الاحتلال الإسرائيلي، وكما حفر مظفّر النوّاب ورفاقه بملاعق الطعام نفقاً للحرية، وكما خرج نيلسون مانديلا ليعيد بناء أفريقيا من سطوة الألوان، ودرويش الذي لم يستطع المعتقل احتجاز نداء الحنين، فكان المعتقل صدىً نقيّاً يوقظ غفلة الإنسان وتغافله عمّا يجري في بلد الزيتون والليمون، اغتالوا غسان كنفاني وناجي العلي، وصولاً لشيرين أبو عاقلة، ولم يستطيعوا اغتيال حلم العودة، لم يستطيعوا قتل الحقيقة، فأمعنوا بالعنف، ليكشف الفلسطينيون بعقد اجتماعهم حقائق عهر الأنظمة، بدءاً بالعربية ثم العالمية، ونفاق المؤسسات الدولية.

أمّا في أعمق منحنيات معتقلنا يضيء فرج بيرقدار وسمر يزبك وآخرون ملامح الإنسان والعمل، ملامح الانكسار والأمل، ولا ننسى إبراهيم صموئيل، الذي أبدع في سنٍّ متأخّرة بعد خروجه من المعتقل، هؤلاء يعيدون تنقية ما اختلط في دمائنا لنرى أنفسنا بوضوح، نحن الذين هُزمنا، لكننا مازلنا نحلم، نحن الذين رُبّينا في المعتقل الكبير، لكننا حطّمنا الإطار، نحن مَن خرج منّا المبدعون ليبشّروا بالإنسان السوري في أنحاء المعمورة.

المعتقل لم ينل من حلم السوري رغم كل محاولات الطاغية لكسره، ولم يكن يوماً حدّاً على إبداعه. هذا ما يجب أن نردّده للأجيال القادمة، لا أن نجعل لحظة الوقوف تحت الجسر بانتظار الأحرار، هي الحلقة الأخيرة من باب الشام.

الكثير من السياسيين والنشطاء والمثقفين وقعوا بمصيدة عقدة اضطهاد الضحية، فذهبوا بممارساتهم خلف الناس المفجوعين، يلطمون، ويتسابقون لجلد الذات، وكأنهم متفاجئون مما حدث، ولا يملكون الحيلة ليقوموا بدورهم حينما تحلّ المصائب.

ماذا فعل الائتلاف؟ وهل يكفي أن يرفع عدد من المنظمات الحقوقية شكوى لمؤسسات الأمم المتحدة؟ وأين هي الحملة الإعلامية.. وأين وأين؟! علينا أن نكفّ عن تصوير أنفسنا بالضحية، ونذهب بثقافتنا وممارستنا للسياسة والفكر انطلاقاً من الاضطهاد. "علينا أن نعلّم الشعب على الذعر من نفسه كي نعطيه الشجاعة، علينا أن نصوّر كل قطّاع من (وطننا) على أنه الجزء المخزيّ.." هكذا خاطب ماركس الشعب الألماني، وهكذا يجب أن نخرج من حدادنا؛ أن يخرج المعتقل من داخلنا، لأن بقاءه يعني بقاء الطاغية، علينا أن نغني للحياة لحنها ذاته، كما أكّد ماركس، ونعلّم الأجساد على الرقص بإيقاعات الحلم.

علينا استبدال ثنائيات المعتقل والانكسار، المعتقل والخوف، المعتقل والألم، المعتقل والقتل.. بثنائية واحدة لا تختزل كل ما سبق بل تجعله نصف حقيقة، فنقول: المبدع والمعتقل.

من أوراق جودت سعيد

رسالة كتبها المفكّر الراحل جودت سعيد جواباً على سؤال ورده عبر البريد الإلكتروني

الأربعاء 6/10/2010

الأخ المكرم ز س

السلام عليكم جميعاً؛ أنتم المتعاونين على البر والتقوى.

إن موضوع المرأة من أكثر المواضيع الملحة للإنسانية، فالنساء يمثلن النصف الأكثر رحمة من البشرية، وكنّ خلال التاريخ الإنساني كلّه من المستضعفين في الأرض، بسبب ضعف عضلاتهن، حيث كانت قيمة الفرد تقدر بمقدار قوته العضلية، وهذا ما يمتاز به الرجال غالباً مقارنة بالنساء.

والنساء هن اللاتي يحملن الرجال في أرحامهن خلال المرحلة الجنينية، وهن من يحملنهم في أحضانهن بعد الولادة، لشهور طويلة.

ومن سحنة وجوههن، ونغمة أصواتهن يتشرب الأولاد ذكوراً وإناثاً، القيم الاجتماعية التي تقدسها الجماعة التي ينتمين إليها، صحيحة أو خاطئة، فتنفذ إلى أعماق أرواحهم، فالأطفال يميزون سحنة الوجوه، ويعرفون الوجه الحزين والوجه الضاحك والوجه الباكي، قبل أن يتعلموا اللغة المنطوقة، "ولتعرفنّهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول"[محمد:30].

فالمقدسات والمدنّسات تبدأ بالانتقال تلقائيا قبل تعلم اللغة؛ فصوت الغاضب وصوت الفرح المستبشر لا يستويان. وحتى كلمة "السلام عليكم" عندما تكون مكتوبة تختلف عنها عندما تكون منطوقة؛ فيمكن أن تحمل العبارة المنطوقة معنى (كم أنا مسرور بلقائك)، كما يمكن أن تحمل معنى (لقد كان من سوء حظي أنني التقيت بك)!

والآن في عصر صناديق الاقتراع دخلت النساء عالماً جديداً، يمثل فيه الفرد الواحد بصوت واحد بغض النظر عن جنسه. وكلّ الأصوات متساوية في القيمة، مهما كان لون صاحبها أو مقامه أو عرقه، أو مهما كان جنسه.

وهذا العالم الذي بدأ يتشكل للتو، يحمل البشرى لكل نساء العالم، وسيكون للنساء اللاتي اعتُبرن أدنى مكانة من الرجل خلال التاريخ، حق المساواة. وأمكنت المساواة لأن النساء يساوين الرجال في القدرة الدماغية، فهنّ كذلك يساوين الرجال في القدرة على الفهم، ويساوينهم في القدرة العقلية. وباعتبار تاريخهن الذي عانين فيه من الظلم، فلديهنّ القدرة على فهم معنى العدل أكثر من الرجال، أصحاب الامتيازات عبر التاريخ كله.

والآن عدد الإناث في سلك الدراسات العليا في سوريا وفي بريطانيا وفي الكويت أكثر من عدد الذكور، وهذه أولى تباشير العالم الجديد. فعندما كنت طفلاً في المدرسة الابتدائية لم يكن عندنا آنسات، وكان كل المدرسين من الذكور، ولكن الآن صار عدد الآنسات يفوق عدد المعلمين في معظم المراحل؛ في الابتدائية والإعدادية بل وفي الثانوية، وسيصير عددهنّ أكبر في الجامعة في وقت لم يعد بعيداً، لأن خريجات الدراسات العليا سيتخصص قسم منهنّ ويصبحن مدرسات في الجامعة أيضاً.

أنا مسرور أن أتحدث عن دور المرأة ، والروح الذي صبغت به تاريخ البشر منذ آلاف السنين، وآمل أن هذه الروح ستصبح أكثر حضوراً وظهوراً وتأثيراً في مستقبل البشر. وأمام البشرية مليارات السنين القادمة التي ستشهد كيف سيتحقق علم الله في الإنسان، وأن هذا الإنسان سيخرج من الفساد وسفك الدماء، وسيملأ الأرض عدلاً وسلاماً، وسيتحقق هذا بالإضافة التي ستحدثها النساء إلى تاريخ البشر.

هذا علم الله في الإنسان، منذ أن كان مشروعاً للاستخلاف في ضمير الغيب، واحتجت الملائكة على مشروع الاستخلاف، بأن هذا المخلوق مُفسِد مخرِّب يسفك الدماء: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" [البقرة:30]، وكان جواب الحق سبحانه وتعالى رهان على هذا المخلوق بغض النظر عن جنسه "إني أعلم ما لا تعلمون" [البقرة:30]، وإذا كنا إلى الآن لم نخرج بعد من عصر الفساد وسفك الدماء، فإن عصر "إني أعلم ما لا تعلمون" قد جاءت أشراطه ولاحت تباشيره.

وقيلاً سلاماً سلاماً.

إن المجد لله في الأعالي وللناس المسرة وعلى الأرض السلام.

وشكرا لك ولأخيك صاحب الهمة العالية، الذي يشقّ الطريق إلى السلام العالمي.

جودت سعيد

مع كل المحبة والتمنيات الإنسانية.

العنصرية بما أنها قضية وعي إنساني

مضر حمكو

في مسار تحول الحدث العنصري المتعلق بالاعتداء على السيدة السورية المسنّة ليلى محمد في مدينة غازي عنتاب التركية إلى قضية رأي عام -سوري على الأقل- ينبغي لنا تصعيد لحظة الألم السوري هذه إلى فكرة أسمى من مجرد التفجّع الافتراضي على ما يصيب السوريين، انطلاقاً من التراب الوطني وصولاً إلى مشارق الأرض ومغاربها.

معنى التصعيد هنا هو الارتقاء باسم ليلى محمد إلى رتبة الشخص المفهومي المعبّر عن كل ضحايا العنصرية عبر العالم، هذا الشخص المفهومي هو الحدّ العقلي والأخلاقي، الضروري والمنطقي، الذي ينبغي إقامته على كل الانتهاكات بحق ضحايا العنصرية والتمييز، ليس فقط ضدنا كسوريين، وليلى محمد أو لنا، بل جميع الضحايا في تاريخ البشرية، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. وبهذه المثابة ينبغي لدفاعنا النبيل عن المسنّة السورية أن يتسامى إلى دفاع جذري أكثر نبلاً. دفاع عن الإنسانية، من جهة أن السيدة ليلى هي التعبير الذري عن الإنسانية جمعاء.

من هذا المدخل يمكن لنا الإسهام في ثقافة مناهضة على الصعيد الكوني لكل الممارسات الواقعة تحت المستوى الأخلاقي للسلوك الإنساني، وبهذا يمكن أن نتشاطر مع البشرية فضاء عمومياً مشتركاً للاجتماع البشري، وهذا هو معنى أن نتحول من حالة الإضافة بوصفنا ضيوفاً على الأوطان مهمشين ومخذولين، إلى حالة الفاعل الأصلي باعتبارنا مواطنين، لا في سوريا فقط بل في العالم بأسره.

المواطن العالمي هذا هو القادر على استعمال العقل استعمالاً عمومياً يبتغي كشفاً شبه كوني يقوم فيما بيننا نحن معاشر البشر.

هذا يعني أنه يتوجب علينا الارتقاء بالحميّة السورية التي تنتصر للمواطنة السورية ليلى، وهذا مفهوم وطبيعي ومنتظر كرد فعل من داخل البيئة الثقافية السورية المولدة لشعور الانتماء الذي نتشاركه مع ليلى فردياً وجماعياً.

إذاً هو حالة دفاع الهوية عن نفسها إذا فهمنا أن جسم ليلى دخل في أفق الهوية السورية بوصفه جسمنا جميعاً وجرحنا جميعاً، لكن ما هو موقفنا لو أن ليلى لم تكن ليلى، بل كانت إحدى الألمانيات في شعاب أفريقيا، أو إحدى النساء من البشرة السوداء في متاهات فلوريدا؟ هذا هو السؤال الذي كان يجب أن يسكننا منذ أمد بعيد.

وهذا السؤال يجب أن يتحول إلى ركيزة في طريقة النظر إلى الذات والعالم. وهذا يعني ببساطة مخرجاً إنسانياً، وبالتالي عالمياً وكونياً لما هو محلي في مستوى الهوية، منذ أن غادر العالم وصفه عوالم وشعوب وقبائل وقارات، بفعل فيوض الطوفان التقني في مستوى تداول وانتشار المعلومات، والذي أخذنا لنطوف أصقاع الأرض، وجعل للأمريكي قدرة أن يعرف ما يحدث في الحسكة السورية، ولابن الحسكة أن يتابع ما يجري في أوكرانيا أو وادي السيليكون حتى.

هل من قبيل الترف أن تتم الدعوة إلى تصعيد لحظة الشعور السوري بالمهانة، الناجم عن الاعتداء على السيدة السورية، إلى موقف نقدي عام وشامل ذي بعد عالمي قادر على الإسهام في ثقافة كونية تكون بمثابة المناعة الأخلاقية عبر الكوكب لدرء مفاسد البشرية؟ جوابي هو لا النهائية.

ربما هناك ممن سيقرؤون هذه السطور، وهم -في حال وجدوا- قلة على ما أظن، من يقول وما علاقتنا نحن السوريين بامرأة من بوركينافاسو تتعرض لسلوك عنصري في غواتيمالا؟ أقول في هذه الحالة يحق أيضاً للفرنسي ألا يبالي بمجزرة التضامن.

لماذا يجب أن يكون الجواب عن السؤال آنف الذكر هو لا النهائية؟ لأنه ببساطة يجب أن يدخل أفق تفكيرنا أن المأساة السورية هي جزء من الأزمة بل المأساة العالمية، هي أحد مظاهر هذه المأساة التي تتعين بصورة حرب على الشعب الأوكراني، أو مذبحة لمسلمي ميانمار، أو مقتلة مستمرة في حق اليمنيين، أو مجاعة في أفريقيا، أو مجزرة في مدرسة أمريكية، أو أزمة غذاء تطال الفقراء، أو مجموعة حوادث عنصرية حدثت وتحدث في أصقاع الكوكب..

ألا يكفي هذا لنفهم نحن بني البشر، سوريين وغير سوريين، أن الوجع الإنساني عدا عن كونه مسلّعاً ومشيّئاً بات معولماً وقابلاً للتوزيع على المناطق الأكثر رخاوة من خواصر العالم؟ ألا يكفي هذا لنفهم أن الوجع اللاشخصي للعالم هو وجعنا الفردي؟ فالأنا هو من يوجع الوجود وليس العكس.

تعالوا إذاً نعيد نحت الأسئلة ونسائل البنى الجوانية تحت سطح أنفسنا.

تعالوا لنرَ في معرض ما نقترح من حلول لمعضلاتنا الوطنية والكوكبية، ومنها الحرب وليس آخرها العنصرية، إن كان ما أنتجنا كسوريين وكبشر من قوانين وشعارات وأنظمة وبرامج، كاف لتحسين الثقافة والسلوك. (وهل أن القضية أصلاً هي تحسين وتخفيف؟ أم إحداث تحول جذري ونوعي فيما أبعد من القانون والنظام، على كل ما لهما من أهمية لوجودنا كبشر الذين لازال الجزء المتحضر من طبيعتهم غير كاف لحفظ وجودهم، ناهيك عن حقوقهم بدون وجود القانون)!

باب الهوى شريان الشمال السوري

كيف تبازر روسيا السوريين على لقمتهم الأخيرة

علي الدالاتي - إدلب

تبنى مجلس الأمن بتاريخ 12 تموز 2022 تمديد آلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود إلى شمال غرب سوريا عبر تمديد القرارات الواردة في الفقرتين 2 و3 من قرار مجلس الأمن 2165 (2014)، لمدة ستة أشهر؛ أي حتى 10 كانون الثاني/ يناير 2023، فقط عبر معبر باب الهوى وقبلها أخفق المجلس في اعتماد مشروعي قرارين كان من الممكن أن يجددا الآلية: أحدهما مقترح من ايرلندا والنرويج وقد رفضته روسيا، والآخر بمبادرة من روسيا وحصل على صوتين مؤيدين فقط (الصين وروسيا).

وقد تجدد البازار الروسي قبل الاجتماع حيث تريد روسيا تعويم نظام الأسد عبر الضغط بملف المساعدات واللعب بقوت الشعب السوري عبر ربط آلية نقل المساعدات الإنسانية عبر الحدود في سوريا مع ملف المساعدات عبر خطوط التماس ونقل الملف الإنساني بالكامل لمكاتب الأمم المتحدة في دمشق، التي سبق وثبت تورط موظفين منها بملفات فساد لصالح النظام السوري ومليشيات ومؤسسات مرتبطة به.

تسلسل تاريخي لآلية إيصال المساعدات عبر الحدود

اعتمد مجلس الأمن الدولي في عام 2014 القرار رقم 2156، الذي منح الإذن لمؤسسات الأمم المتحدة ووكالاتها بالإضافة إلى شركائها ولمدة عام باستخدام أربعة معابر حدودية في سوريا "باب السلامة" و"باب الهوى" و"الرمثا" و معبر "اليعربية" وذلك بهدف إيصال المساعدات الإنسانية، إلى الأشخاص المحتاجين في سوريا.

واستمر التمديد عبر قرارات عديدة من مجلس الأمن.

وبالتوازي مع قرارات التمديد كانت الضغوط الروسية مستمرة بهدف إيقاف إدخال المساعدات الإنسانية عبر الحدود. واستخدمت روسيا حق النقض "الفيتو" بوجه عدد من مسودات القرارات التي طرحتها الدول، حتى تم الاتفاق في 11 كانون الثاني/ يناير 2020 على القرار الذي اعتمده مجلس الأمن والذي حمل رقم 2504 والذي اعتمد تمديد آلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود إلى سوريا، ولكن هذه المرة تم استبعاد معبرين هما "اليعربية" مع العراق و"الرمثا" مع الأردن، واستمر العمل عبر معبرين فقط هما "باب الهوى" و"باب السلامة" وكلاهما مع تركيا، ولمدة ستة أشهر فقط.

لكن ذلك لم يوقف روسيا عن مساعيها لإغلاق الحدود بوجه المساعدات الإنسانية؛ حيث نجحت في 11 تموز/ يوليو 2020 بتقويض آلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود، وقلصت مجدداً عدد المعابر إلى معبر واحد هو معبر باب الهوى وفق القرار الأممي رقم 2533.

وبعدها استمرت المحاولات الروسية لإغلاق معبر باب الهوى وهو آخر المعابر الحدودية التي تدخل عن طريقها المساعدات الإنسانية الأممية إلى شمال سوريا.

ولكن استطاع مجلس الأمن التوصل إلى قرار أممي يقضي باستمرار إيصال المساعدات الإنسانية لسكان شمال غرب سوريا عبر معبر باب الهوى لعام إضافي ينتهي في شهر تموز الجاري، وفق القرار الأممي رقم 2585 لعام 2021،

ولكن سبق القرار مفاوضات عدة دول مع روسيا لتمريره، استطاعت روسيا خلالها فرض عدد من التعديلات على مشروع القرار الذي قدمته النرويج وإيرلندا، وتنص التعديلات على بدء العمل بآلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الخطوط، وذلك من حكومة النظام، إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، وذلك تمهيداً لإيقاف العمل بآلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود التي بدأت عام 2014.

مازن علوش مدير العلاقات العامة والإعلام في معبر باب الهوى قال لمجلة طلعنا عالحرية إنه "على الرغم من ضعف عمليات الاستجابة الإنسانية في المنطقة، تظهر البيانات الواردة أدناه كمية المساعدات الإنسانية المقدمة لأكثر من 2.6 مليون شخص خلال الفترة المذكورة؛ حيث يشكل النساء والأطفال ما نسبته 65% منهم، في الوقت الذي تسعى روسيا فيه إلى إيقاف المعبر عن العمل وفق آلية التفويض الخاصة بإدخال المساعدات الإنسانية عبر الحدود وتحويل تلك المساعدات إلى مناطق سيطرة النظام السوري لإدخالها عبر معابر داخلية إلى مناطق شمال غرب سوريا، والتي استطاعت من خلال هذه المعابر إدخال 71 شاحنة محملة بمساعدات غذائية فقط تعادل 1398 طن، وستنخفض هذه الأرقام فيما بعد إلى مستويات ضعيفة جداً لو استطاعت روسيا تحويل المساعدات الإنسانية إلى خطوط التماس".

وبحسب الناشط الإنساني علي نصرالله فإن "معاناة السوريين تزداد يوماً بعد يوم؛ حيث وصلت مأساتهم إلى أرقام قياسية في إحصائيات الفقر والجوع، وكل التقارير الإنسانية الأممية والميدانية تفيد بأن سوريا عموماً ومنطقة شمال غرب سوريا مقبلة على مجاعة لا يمكن السيطرة عليها".

وأكد نصرالله أن "المشكلة ليست فقط إغلاق باب الهوى، ولكن هي في حياة ملايين البشر المهددة؛ فأكثر من 4.3 مليون مدني بينهم مليون ونصف شخص هجرتهم قوات النظام الروسي وحلفائه من الميليشيات والقوات الروسية يعيشون في مخيمات شمال غرب سوريا، ينتظرون بصمت مصيرهم المرتبط بتلك المساعدات التي تبقيهم على قيد الحياة، يتوجب عليهم أن يترقبوا، كل ستة أشهر، تعنت روسيا وقذارتها في استغلال معاناتهم لتحقيق أهداف سياسية. والمطلوب من هؤلاء أن يتعاطوا مع موتهم الحتمي بعقلانية"!

فبحسب إحصائيات فريق منسقي استجابة سوريا فإن سكان المخيمات يعانون أكثر من 43% منهم من انعدام المياه وأكثر من 79% من انعدام الأمن الغذائي، إضافة إلى الارتفاع الكبير والمستمر في أسعار المواد الغذائية، وانزلاق آلاف العائلات إلى ما دون خط الفقر، وسط تصاعد الأزمة الإنسانية في المنطقة.

أرواح السوريين ثمن تعويم الأسد

بحسب الصحفي محمد العلي: "تحاول اليوم روسيا التي تعاني من عزلة دولية بسبب حرب أوكرانيا اللعب بملف المساعدات الإنسانية لتحقيق مكاسب لها ولحليفها بشار الأسد ونظامه، والذي يرغب بكسر العزلة الدولية المفروضة عليه منذ سنوات".

وأضاف العلي أن: "الخطة الروسية في حصر إدخال المساعدات الإنسانية الدولية عبر دمشق تهدف لدعم حكومة النظام اقتصادياً؛ حيث تستفيد حكومة النظام في دمشق من ملايين الدولارات من المساعدات الإنسانية الأممية، عبر إجبار وكالات الأمم المتحدة على استخدام سعر صرف الليرة السورية الذي يحدده المصرف المركزي، والذي يعتبر متدنياً بفارق كبير عن سعر صرف الليرة السورية المعمول به في كافة أنحاء سوريا".

ويتابع: "كما أنها تسهم في تحكم النظام بالمساعدات الدولية القادمة لمناطق شمال شرق وشمال غرب سوريا، وهذا ما يقلق المنظمات الإنسانية، خصيصاً مع التاريخ السيء لنظام الأسد في استخدام المساعدات الإنسانية كسلاح حرب وتجويع للمناطق الخارجة عن سيطرته، ولا ننسى ضغوطات النظام واستخدامه لمجاعات مضايا وجنوب دمشق والغوطة الشرقية وأحياء حمص القديمة وحلب الشرقية، كوسائل ضغط وتركيع ضدّ معارضيه.

وسبق أن صرح مكتب تنسيق الجهود الإنسانية عن عمل الأمم المتحدة "أن بعض الدول مثل سوريا تصر على التعامل مع قائمة من الشركاء الذين تمت المصادقة عليهم، ولكننا نختار الشركاء بناء على تقييمنا لقدرتهم على التنفيذ بعد عملية دقيقة".

وتتعرض المساعدات عندما يتم نقلها إلى خطوط النزاع أو التي تسيطر عليها الحكومة في شمال شرق وشمال غرب سوريا للسرقة ويتم توزيعها بطريقة غير منظمة".

وأضاف المكتب أنه "لم تصل سوى 43.500 حصة طعام إلى مناطق المعارضة في شمال غرب سوريا مقارنة مع 1.3 مليون حصة وصلت من تركيا في تشرين الثاني/ نوفمبر. إن الإمدادات ظلت في المخازن لمدة أربعة أشهر لأن الحكومة السورية رفضت السماح للمنظمات غير الحكومية توزيعها. وإن التلاعب في المساعدات زاد أثناء عقد الحرب وعبر التقييم والتدقيق المالي".

وحذّر المكتب بأن عمل النظام هذا هو جزء من موضوع منظم يجب حله لأن لاعبين آخرين سيقومون بنسخه والذين يتعلمون مما فعله النظام السوري".

الصيف في إدلب

ضيف محبب مع فرص العمل التي يؤمنها للعشرات

شمس الدين مطعون

"بوظة بوظة ...قرب أبو السمايح قرب أبو البلاش... بوظة بوظة" عبر مسجل صوت تصدح دراجة الشاب رضا النارية والتي أعدها لبيع البوظة، وهو يجوب شوارع بلدة سرمين شرقي إدلب.

مع قدوم فصل الصيف يبتاع رضا البوظة من إحدى المصانع القريبة من بلدته، ويضعها على صندوق مثبت على دراجته بوعاء حافظ للبرودة، كما يقوم بلفها بقماش مبلل ليبقيها محافظة على قوامها أطول فترة ممكنة.

يجذب رضا الأطفال لبضاعته عبر تشغيله لأغاني طيور الجنة عن البوظة وفصل الصيف "برد برد بوظة يا الآيس كريم بوظة".

يقول رضا إنه مع ارتفاع درجات الحرارة، أشعر بسعادة أكبر حيث تصبح الحاجة لبضاعتي التي تبرد على القلب أكثر طلباً، ويضيف الشاب مبتسماً: " الناس بتكره الشوب وبتدعي يخلص، أنا بقول يا ريت يطول لضل عم اشتغل".

تعد محافظة إدلب منطقة زراعية، ويعتمد معظم سكانها على الاشتغال بالمحاصيل الزراعية والتي غالباً ما تكون موسمية، كما أثرت موجات النزوح من أرياف إدلب إلى شمالها بتقلص مساحة الأراضي المزروعة، وهو ما أسهم بتراجع فرص العمل بشكل كبير.

ومع ضعف القدرة المادية للأهالي، أصبحت المشاريع الصغيرة والتي تعتمد على رأس مال بسيط أكثر رواجاً، لا سيما البسطات والعربات المتنقلة التي باتت منتشرة بشكل كبير في الأسواق العامة وبين الحواري وأرصفة المنتزهات والحدائق.

منذ الصباح الباكر يجهز أبو مراد وهو مهجر من ريف حماة ويقيم بإدلب، إناء كبيراً يضع فيه بضع كيلوغرامات من عرانيس الذرة الصفراء، ويقوم بغمرها بالماء، ويشعل تحتها النار لتكون ناضجة خلال ساعات، يجر أبو مراد عربته المتنقلة يدوياً، ليبيع بضاعته بالقرب من دوار الساعة وسط إدلب حتى غروب الشمس، وبعدها يقصد منطقة الكورنيش

الغربي للمدينة، حيث تنتشر العائلات على طرفي الطريق هرباً من الحر في منازلهم الطابقية.

يقول أبو مراد: "الصيف كيف، مع غروب الشمس لبعد نص الليل، ببقى ع الكورنيش ودائماً في ناس وحركة، وكل البضاعة بتنباع".

لا يتجاوز رأس مال أبو مراد 100 دولار أمريكي، كانت ثمن لتجهيز عربته التي يجرها يدوياً، وإناء لوضع العرانيس وغاز صغير ليبقيها دائماً ساخنة، كما يضع مدخرة صغيرة لتوليد كهرباء جيدة، كفيلة بأن تزركش العربة بأضواء ملونة تجذب الزبائن.

يقدم أبو مراد عرانيس الذرة بطرق عدة، فيبعها على حالها مع قليلاً من الملح، أو يقوم بفرط حباتها وخلطها بالجبنة السائلة وقليل من السماق وتقديمها بصحن كرتوني، أو خلط الحبات مع بهارات الجبنة والشطة، بحسب طلب الزبون.

يوضح أبو مراد أنه خلال الفترة الأخيرة، تقلصت ساعات عمله وأصبحت مقتصرة فقط مع غروب الشمس وعلى الكورنيش الغربي، وذلك بعد أن أصدرت مجلس مدينة إدلب قراراً بمنع العربات والبسطات من إشغال الأرصفة والساحات العامة، متذرع بأن القرار سيحل أزمة الازدحام ويضفي جمالاً على المدينة.

استهجن أصحاب البسطات قرارات المجلس، إلا أنهم أرغموا على تطبيقه خوفاً من مصادرة عرباتهم وبضائعهم، في حين أنشأ المجلس أسواق بديلة لأصحاب البسطات والعربات، إلا أنها ستكلفهم أعباء مادية كما أنها بعيدة نسبياً على الأسواق الرئيسة المكتظة بالزبائن والمارة، "أنا قررت أن اكتفي بساعات الشغل بالليل، وأنا عم جر العربة، مالي قدرة على شراء براكية من المجلس" يوضح أبو مراد.

رغم العوائق والصعوبات التي واجهت مهنة العربات، إلّا أنها شكلت فرصة عمل لعدد كبير من العائلات، وخاصة للمهجرين الذين لا يمتلكون محال أو براكيات للممارسة مهنهم، كما أن استأجراها يعد أمراً مكلفاً

البقية في صفحة 17....

حوادث السير توقع ضحايا في الشمال السوري

أسباب وحلول غير حقيقية

حسين الخطيب

تشهد مناطق شمال غربي سوريا، التي تخضع لسيطرة المعارضة ارتفاعاً ملحوظاً في وقوع حوادث السير، منذ مطلع العام الحالي 2022، ما تسبب في وقوع عشرات الضحايا من المدنيين فضلاً، عن تسببها بإعاقات دائمة لكثيرين، بينهم أطفال ونساء نتيجة غياب البنى التحتية وعدم الالتزام بقواعد السير.

يأتي ذلك في ظل اشتداد تأثيرات الأزمة المعيشية على سكان شمال غرب سوريا، وارتفاع أعداد السكان في منطقة صغيرة تفتقد لأدنى مقومات الحياة، وانتشار للفقر والبطالة على حد سواء، اللذين يدفعان السكان إلى ارتياد مسافات طويلة لتأمين قوت يومهم.

ماهر أبو محمد، وهو من سكان ريف حلب الشمالي، وأحد الأشخاص الذين تعرضوا لحادث سير على الطريق الواصل بين منطقة عفرين وإدلب، قال خلال حديثه لمجلة طلعنا على الحرية: "أسير بسرعة لا تزيد عن 60، خشية تعرضي لحادث سير، إلا أنني واجهت قدري قبل شهرين، عندما كنت أقود سيارة العمل على طريق عفرين إدلب، وفجأة ظهرت أمامي سيارة مسرعة تفوق سرعتها الـ 100، ما دعاني إلى الخروج عن مسار الطريق خشية الاصطدام بها". وأضاف: "تعرضت للرضوض، في جسدي، لكن هذا الحادث مرّ بسلام؛ كوني فضلت تضرر السيارة على سلامتي، لكن معظم الحوادث توقع ضحايا من المدنيين، وأحاول دائماً إعطاء القيادة حقها على الطريق، كوننا معرضون للحوادث في أي وقت".

ويرى أبو محمد أن سرعة القيادة على طرقات الشمال السوري يجب ألا تزيد عن 80 بسبب ازدحام الطرقات بالمارة وعدم قدرتها على استيعاب أعداد السكان بالكامل، من مقيمين ونازحين ومهجرين؛ فعلى حد وصفه "السرعة الزائدة على الطرقات والكثافة السكانية، ووعورة الطرق أسباب رئيسية في وقوع الحوادث".

بينما محمود ريحاوي، الذي يعمل في مدينة أعزاز بريف حلب الشمالي، ويتنقل على دراجته النارية بين أعزاز ومارع وعفرين، يسير بدراجته النارية بسرعة لا تزيد عن 40 خشية تعرضه لحادث سير، محاولاً اتخاذ أقصى درجات السلامة. قال خلال حديثه لمجلة طلعنا على الحرية: "تكررت حوادث السير في المنطقة بكثافة، نتيجة الازدحام الكبير على الطرقات الرئيسية، إلى جانب سائقي السيارات الذين لا يدركون مخاطر قيادة السيارة بسرعة متهورة وغالباً ما يكون الأطفال واليافعين هم الذين يقودون السيارة". وأضاف إن "معظم الأشخاص الذين يقودون السيارات والدراجات النارية لا يملكون شهادة سائق وليسوا مطلعين على قواعد السير، لذلك تكررت الحوادث، وغالباً ما تقع ضحايا نتيجة الاصطدام أو الدهس".

في 27 تموز/ يوليو الجاري وقعت ثلاث حوادث، في ريف حلب؛ واحد في مارع، بين سيارة ودراجة نارية أسفر عن إصابات ورضوض بسائق الدراجة النارية، واثنان منهما في منطقة عفرين، ما تسبب في إصابات بالغة؛ حيث تم إسعاف المصابين إلى تركيا بسبب خطورة الإصابات.

واستجابت فرق الدفاع المدني السوري لأكثر من 900 حادث سير في مناطق شمال غربي سوريا، منها ما أدى لوفاة 31 شخصاً بينهم نساء وأطفال، فيما تم إسعاف أكثر من 832 شخصاً إلى النقاط الطبية والمشافي، و"تعدّ هذه الإحصائية للحوادث التي استجابت لها فرق الدفاع، منذ مطلع العام الحالي، والذي شهد ارتفاعاً في نسبة الحوادث المرورية مقارنةً بالسنة الماضية"، بحسب ما أوضح حسن الحسان، مدير المديرية الثالثة في الدفاع المدني السوري.

وقال الحسان خلال حديثه لمجلة طلعنا على الحرية: "تعتبر السرعة الزائدة على الطرقات هي السبب الرئيسي والمباشر لحوادث السير، يليها عدم الالتزام بقواعد السير والسرعات المحددة على الطرقات، وأولوية المرور ومحددات مناطق المشاة، علاوة على العدد الكبير للسيارات والازدحام الشديد على الطرقات، وضيق وضعف البنية التحتية للطرقات". وأضاف أن "ظاهرة القيادة الرعناء من قبل الأطفال للدراجات النارية والسيارات تشكل تهديداً كبيراً على حياة المدنيين، حيث لا يكون هناك التزام بأي

من إجراءات السلامة المروية ولا اعتبار للتحذيرات من مغبة السرعة الزائدة".

وعن الحد من حوادث السير يرى الحسان أن "التخفيف من حوادث السير يبدأ من المدنيين بالدرجة الأولى؛ وذلك من خلال تخفيف السرعة على الطرقات وعدم السماح للأطفال بقيادة المركبات أياً كانت، مع الالتزام بقواعد السير".

وبالإضافة للأسباب المذكورة تعتبر رداءة الطرقات المستخدمة، والتي يجب أن تخدم عدداً محدوداً من السكان إلا أنها باتت تخدم مئات الآلاف، إلى جانب تعرضها للقصف وتضررها، والاعتماد على الطرقات الفرعية والجبلية غير المجهزة للضغط السكاني الكبير، وأيضاً تنوع السيارات وعدم جاهزيتها للسفر؛ خاصة أن معظمها مجمّع في ورشات محلية لا تطابق معايير السلامة، كسيارات "القَصّة" المشهورة محلياً.

ويقول أحد العاملين في مجال جمع وتركيب السيارات الواردة إلى الشمال السوري، ويدعى أبو محمود الحربلي إن "رداءة السيارات المستعملة، وتركيب سيارات القَصَّة له دور أيضاً في وقوع الحوادث؛ لأن معظم السيارات التي تسير غير مجهزة ومرخصة من إدارات المرور في المنطقة، وترخيصها ليس متعلّق في النمرة فقط، وإنما يرتبط بجاهزيتها الكاملة وسلامة قيادتها، وقدرة السائق على التعامل معها".

يأتي ذلك في ظل غياب الحلول الفعلية من قبل الجهات المعنية والإدارية في المنطقة للحد من وقوع الحوادث. فلمعالجة هذه الظاهرة يجب العمل على تهيئة بنى تحتية سليمة للطرقات، بالإضافة إلى منح شهادات سوق، وإلزام السائقين بقواعد المرور وحمل الشهادة، إلى جانب الوعي.

حوار مع الشاعرة هنادي زرقة
مغامرة الشعر.. من الشخصي إلى العام

أجرت الحوار بشرى البشوات

”أمي والذئب
أستيقظُ في الليل
عازمةً على أن أعقدَ صفقةً مع الذئب!
الذئب!
لم لا؟!
لن أركضَ وراء دجاجاتكِ إلى الأبد.

منذ أربعين عاماً وأنتِ
توقظينني
لأبحثَ عن دجاجاتكِ الضائعة.

لن أتعبَ نفسي في إقناعكِ
بأنه لا خُمَّ لدينا.
كلُّ ما سأقولُه لكِ:
نعم،
لقد تركتُ بابَ الخمِّ مفتوحاً
تركتُ دجاجاتَك تبيض أنّى تشاء
تسرحُ مع الديكة في الليل
في النهار.. كما تشاء.
والأسوأ
أنني أرشدتُ الذئب إلى مواضعِها.
صديقي:
تعال،
وكُلْ دجاجاتِ أمي”!
(هنادي زرقة، من مجموعتها ”الزهايمر“)

تأخذ هنادي القارئ إلى عالم مغاير لكل ما يمكن أن يتوقعه؛ اللغة المتفردة المضيئة والحقيقية في آن؛ اللغة التي تخرج من ذات الشاعرة.

تتميز تجربة هنادي زرقة بموهبة حقيقية وثابتة، وعمق معرفي عالٍ، ولدى هنادي لغة تفيض على الدوام من ذاتها القلقة والمُحبة، لغة سخرتّها بحرفيّة ومهارة، ورؤية خاصة شكلت أكثر عناصرها الشعرية بروزاً.

أحاور هنادي حول الشعر، ومجموعاتها الشعريّة خلال سنوات من تجربتها في عالم الكتابة.

ما الذي تغيّر بين ديوانك الأول ”على غفلة من يديك“ الصادر عام 2001، وآخر دواوينك ”رأيت غيمة شاحبة، سمعت مطراً أسود“ الصادر عام 2018؟

حين بدأت الكتابة لم يدر في ذهني أن أكون شاعرة، كانت مغامرة وشغف بالكتاب، كل ما تمنيته يومها أن أرى اسمي مطبوعاً على كتاب. كنت شابة وقتها، ولم يكن لدي مشروع شعري.. كتبت عن الحب وعن السلطة الذكورية في البدايات، كنت أنشد عالماً جميلاً تبرز فيه المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل في معركة الحياة. الآن وبعد مضي واحد وعشرين عاماً، ومرور البلاد بأقسى حرب، أعتقد أن خطابي الشعري تغير؛ فقد اغتصبت الحرب لغتي، ودخلت مفردات ما كان لها أن تكون في نصي لولا وقوع الحرب.

إن تجربة كهذه لم تكن في حساباتي، كذلك الأمر حين أصيبت أمي بمرض الزهايمر؛ فقد كتبت مجموعة شعرية عنونتها ب ”الزهايمر“. تغيرت لغتي وتغيرت مواضيعي الشعرية، وانتقلت من تلك المغامرة إلى الشاعرة، وهذا يتطلب مني موقفاً مما يحصل في بلدي وفي العالم.

يبدو هذا واضحاً خصوصاً مع عنوان ديوانك الأخير“رأيت غيمة شاحبة، سمعت مطراً أسود” عنوان بدلالة عاتمة ومباشرة أيضاً، ونصوص بلا أسماء، مجرد أرقام! لماذا؟

تعمدت أن أضع أرقاماً بدلاً من عناوين للقصائد، وقد استخدمت هذه التقنية في المجموعة التي سبقتها وهي ”الحياة هادئة في الفيترين“، أردت أن تكون النصوص عبارة عن لوحات أو قطع ”بزل“ تجتمع مع بعضها لتشكل جدارية للألم السوري.

في نصوصك: الأمّ، الأخت، الأخ، الحبيب.. لماذا هذا الحضور الطاغي للبعد الذاتي في النص؟

أعتقد أن للأمر علاقة بحياتي الشخصية، حضور أمي كان طاغياً في حياتي، سبق وأن قلت لك إنني كتبت مجموعة كاملةً عنها حين أصيبت بالزهايمر، وحتى قبل ذلك كنت أكتب عن أمي بوصفي امتداداً لها كأنثى، نواجه التحديات نفسها، وكذلك أبي بوصفه السلطة الغائبة، ربما لأنني فقدت أبي صغيرة كان لأخوتي حضور كبير في تربيتي والاهتمام بي. لكن الأمر لا يخلو أيضاً، من خلافات كبيرة على صعيد الأفكار؛ فلم أتفق يوماً مع إخوتي، كنت تلك الفتاة المتمردة على محيطها بكامله، تحضر العائلة بوصفها أول نواة يجب التمرد عليها، وإن كانت أول من يهرع لمساعدتك حين تقعين في النوائب.

يُروى أن الدوق النبيل دوشاروست كان في العربة التي تسوقه إلى المقصلة يطالع أحد الكتب، وقبل أن يبدأ في صعود الدرجات نحو الإعدام ثنى زاوية الصفحة! أي كتاب من كتبك ثنين صفحته وتعودين إليه دائماً؟

ثمة أمر غريب في تعاملي مع كتبي، بمجرد ما يخرج الكتاب من المطبعة حتى أنساه، أشعر وأن حملاً ثقيلاً قد أزيح عن كاهلي، وحين أقرأ اسمي على الكتاب أتصور أنه اسم لامرأة أخرى، لطالما كنت شخصيتين: هنادي التي تكتب شعراً، وهنادي التي تعيش حياة مختلفة. للكتاب حياة أخرى لا شأن لي بها، هو كائن مستقل عني..لا أريد أن تتقاطع دروبنا مجدداً. الكتاب الوحيد الذي رافقني مدة طويلة في النوم والصحو والترحال هو ”سرير الغريبة“ لمحمود درويش.

يحف مجموعاتك الثلاث الأخيرة دانتيل أسود رقيق، ومع كل جماله قد يترك انطباعاً سلبياً لدى القارئ. ألا يقلقك هذا؟

حين انتهيت من تحضير المجموعات الثلاث للطباعة، راجعتها واحدة إثر أخرى، وقد شعرت بالحزن على القارئ؛ ما ذنبه حتى يحتمل جرعة الموت والألم هذه؟ ولكن ما هو الشعر إن لم ينكأ الجراح؟ ينكأ الجراح ليطهرها.. ما يقلقني هو غياب الشعرية، وليس هذا الحمل الثقيل من الحزن والألم.. وفي النهاية كان شعري يصف حالة الشعب السوري في العشر سنوات الماضية.. هل كان ثمة فرح؟

أريد أن أستعير كلاماً للمخرج الإيراني عباس كيارستمي ”هذه الحياة التي ليست قصيرة تماماً وليست طويلة أكثر من حياتي، كانت تهطل ثلجاً لعشر سنوات“. وقد هطلت ناراً ودخاناً على سوريا. ما الذي كان من الممكن أن يفعله الشعر بعد ذلك؟

في مقالة لي كتبتها منذ حوالي شهر عنوانها ”لماذا يغرد طائر القفص؟“ كتبت: ما الجدوى من الشعر إن لم يكن بوسعه أن يمسح دمعة أم ثكلى أو يطعم طفلاً أو يرد القفص؟! لا أعرف في الحقيقة ما الذي يمكن أن يفعله الشعر، في حالتي كان توثيقاً للحياة اليومية التي نعيشها في ظل الحرب؛ كتبت عن الموت اليومي، عن الناس الذين ماتوا بالغاز، عن المقابر التي امتلأت بالشباب، عن هجرة الناس، عن تشريدهم، عن قصف البيوت وتدميرها، كتبت عن أمل يبدو واهياً لكنه موجود.. ربما كانت للشعر وظيفة واحدة الآن في سوريا، وهي زرع الأمل حتى وإن كانت الأرض جدباء.

يقال بأن السينما وحدها تستطيع أن تتعاطى مع مفهوم الزمن، هل فعل الشعر وقصيدة النثر تحديداً ذلك؟

أعتقد أن قصيدة النثر لا علاقة لها بالزمن، فهي لا تتقادم.. تبقى طازجة دوماً وفي كل قراءة تتجدد.

طبعاً، ليس شكل القصيدة هو المهم، ولكن سؤالها؛ ما هو سؤال الشعر؟ ينبغي أن يكون سؤال الشعر هو الكون برمته؛ بتفاصيله وفلسفته حتى يتعاطى مع الزمن.

ما معنى قراءتك وعيشك الشخصي في كتابة الشعر، خصوصاً بعد إصدارك الشعري حول مرض الزهايمر والذي حمل نفس العنوان، ثم ما معنى ذلك بعد فقدانك صاحبة الكتاب؟

أعتقد أن لحياتي الشخصية أثر كبير في كتابة الشعر، انطلق من الشخصي إلى العام، هذا الخاص الذي نعيشه جميعاً، الفقد والألم والاغتراب، كل منا له تجربته التي قد لا تشبه تجربة آخر، لكنها تشترك معه في البحث عن النجاة. الزهايمر كان مغامرة بالنسبة لي: أن أكتب المرض شعراً، لا أعرف هل نجح أم لا، لكنها تجربة مثيرة وغنية وتستحق التوقف عندها، ولا علاقة للموت بغياب المعنى.. الموت أتى كنتيجة متوقعة، وقد كتبت عنه قبل أن تموت أمي.

من أبناء جيلك الشعراء عارف حمزة، جولان حاجي، وداد سلوم ، تمام تلاوي وآخرون. كيف ترين تجربتك أمام أبناء جيلك؟

أعتقد أن لكل منا صوته الخاص، وما حدث في الحرب، جعل لكل منا تجربته في البقاء أو في الرحيل عن البلد.. لا أعرف كيف أقيم تجربتي، أترك الأمر للقارئ.

تُرجمت نصوصك إلى الألمانية والفرنسية والإنكليزية والدنماركية والإسبانية أيضاً. ما هي محاسن/ مساوئ هذه الترجمات؟

لا تعني الترجمة أبداً أن نصوصي أهم من غيرها، بل حدثت مصادفة، وبذا فالترجمة ليست منجزاً أفتخر به، ما يهمني وصول نصوصي إلى القارئ العربي أولاً، الذي يعنى بالنصوص نفسها وتلامس قضاياه، حدث وأن ترجمت نصوصي إلى لغات أخرى، وهي تجربة جميلة أن يعرفك قراء في الغرب، وأن تعنيهم قضاياك. ما حصل في سوريا منذ عام 2011 هو اهتمام الغرب بالأدب السوري على اعتبار أننا موضة وتنتهي بانتهاء ما حدث في سوريا، وبالفعل فقد ترجمت أعمال كثير من السوريين، هل كانت هذه الترجمات مفيدة للقضية السورية، هل شكلت وعياً مغايراً لدى القراء الغربيين، هذا ما لا نعرفه.

أتاح الوضع السيء في سوريا خلال عشر سنوات للكثير من الشعراء انطلاقة جديدة من بلاد اللجوء، هل تعتقدين بأنهم ظاهرة صوتية إعلامية فقط، أم أنهم استطاعوا توظيف ما حصلوا عليه واستثماره في إنتاج قصيدة مختلفة؟

من المبكر الحكم على تجربة الشعراء في دول اللجوء، بعض الشعراء كانت لهم تجربة جيدة وغنية قبل أن يهاجروا، وربما شكلت تجربة اللجوء إضافة إلى شعرهم، بعضهم الآخر ظهرت موهبته في دول اللجوء، لا أحب إطلاق الأحكام، ثمة شعر جيد وشعر سيء ولا علاقة للجوء بالأمر. بعضهم الآخر استثمر في هذه الظاهرة، ظاناً أنها ستجعل منه شاعراً.. لكل تجربته.

يعيش الشاعر حياته بحالة دفاع (عن فكرة ربما، عن موقف، عن قضية) وقد قلت بأنك لا تريدين أن يتقاطع دربك مع درب هنادي الشاعرة مجدداً. كيف ستدافعين فيما بعد عنك؟

قلت إنني أعاني اغتراباً بين اسمي واسم الشاعرة التي تكتب، لازلت أشعر بمسافة تفصلني عن ذاتي الشاعرة، لكنني في شعري وفي حياتي الشخصية أتبنى القيم والمواقف ذاتها، مستعدة أن أدافع حتى الموت عن أفكار مثل الحرية والعدالة الاجتماعية وتداول السلطة وغيرها.. لا يمكن أن ينفصل الشاعر عن قضايا مجتمعه وأن يتنكر لها، لا يعيش الشاعر في بوتقة زجاجية معقمة بعيدة عن الهموم والمشاكل التي يعانيها الناس، وليس عليه أن يتعالى أو يترفع عن الناس، فهو منهم ويكتب لهم. مقولة الفن للفن لا تعجبني.. فالفن للناس، لتحسين حيواتهم، للتعبير عن قضاياهم، للعيش معهم.

هنادي زرقة:

شاعرة سورية من مواليد اللاذقية 1974، حاصلة على بكالوريوس هندسة زراعية عام 1998. صدر لها ديوان ”على غفلة من يديك“ 2001، وديوان ”إعادة الفوضى إلى مكانها“ الذي نالت عنه جائزة محمد الماغوط عام 2004، كما نالت جائزة احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية عن ديوانها ”زائد عن حاجتي“ عام 2008.

رواية "الوشم" لمنهل السراج

شهادة عن معتقلات النظام السوري

دلال إسحق

من المؤكد أننا بعد زمن من الآن سنجد بين أيدينا نتاجاً أدبياً يحاكي سنوات المأساة السورية ويحيطها من جميع جوانبها، وربما سيشكل سمة المرحلة التي عشناها وما زلنا؛ فخلال السنوات الأخيرة سجّلت الساحة الأدبية السورية ظهور أصوات جديدة تصرخ بآلام الشعب، كما وَجدت بعض الأصوات القديمة مساحة الحرية التي كانت تبحث عنها لتنضم هي أيضاً إلى سرب الصارخين بآلام إخوتهم. ومن هذه الأصوات؛ الروائية السورية "منهل السراج" المعروفة بمواقفها التحررية حتى قبل اندلاع الثورة السورية.

وقد صدرت لها مؤخراً عن دار موزاييك للدراسات والنشر رواية بعنوان "الوشم" التي تأخذنا "منهل" من خلالها إلى أجواء رواية "القوقعة" للسوري "مصطفى خليفة" من حيث القصة الواقعية والحدث الذي انطوى تحت ما يسمى أدب السجون، لكن بظروف ورؤية مختلفة.

حيث تبدأ "منهل" سرديتها من نقطة الصفر حين تسرد حكاية بنت من طبقة بسيطة يتم تزويجها زيجة تقليدية، ثم تجد نفسها في بيت عائلة تحيط بها المعاناة والقسوة المفروضة من والدة زوجها، تلك القسوة التي هربت منها "لولا" في سنوات طفولتها ودراستها.

"صرت أذهب إلى المدرسة خائفة من مراقبة المعلمات، وأرجع مهمومة من يوم مدرسي قادم. تراجعتُ مرة ثانية في الكتابة والقراءة. صرت أنطوي على نفسي وأخفض رأسي، حتى أكاد أدخله في درج المقعد، وأدّعي أيّ حجة حين تسأل شيئاً كي أهبط أرضاً، وأبحث عن شيء أسقطته وأختفي تحت المقاعد. صرت أتجنّب أن أكتب اسمي أو أنطق به أو أبادر بأي شيء في الصف، وضعت بطاقة الاسم على الدفتر، وكتبت الكنية فقط؛ لأن "الآغا" كنية تُعرف في حلب ولن تسألني عن معناها، أما "لولا"! فأنا مذنبة من رأسي إلى قدمي بما أحمله بهذا الاسم الذي لم تجد له المعلمة أي معنى"!

ومن هنا يظهر الخوف الذي نحت شخصية "لولا" والذي ساهم فيما بعد بانفجارها في لحظة حملتها للمضي في درب الثورة السورية. لم تكن مشاركة "لولا" في الحراك الشعبي السوري خياراً كما في معظم الحالات التي عشناها أو عرفناها، بل حاجة جاءت عقب تراكم ذلك الخوف والقهر، ليس من السلطة الحاكمة وحسب، بل من السلطات التي فرضها عليها المجتمع، العائلة، المدرسة، ثم الزوج وعائلته..

"كانت "هاجر" في أحشائي، وربما هي التي جعلتني أغلي في "جمعة الله أكبر" أريد أن أشارك الثوار ثورتهم. وقفت في نافذة بيتي في منطقة صلاح الدين في حلب، أراقب مرورهم وشجاعتهم وهتافاتهم وحرارة إرادتهم، أحسست بحماس هائل، ولم أدر كيف أناديهم، جفّ حلقي، لكن خرطوم الماء كان في يدي، ودون تدبير أرسلته إليهم ماءً برداً وسلاماً، وهمست أردد هتافاتهم".

ما ميز "الوشم" عن الأعمال التي اندرجت تحت أدب السجون؛ اكتفاؤها بالانحياز نحو الحدث كما حصل من دون إضافة رتوش قد تساهم في شحن السرد عاطفياً؛ فالحدث بصيغته الأساسية يحمل شحنة تمس القارئ مهما كان على اطلاع أو دراية مسبقة بهكذا أحداث، وقد اختارت "السراج" أسلوب السيرة الروائية بلغة مبسطة محاولة عدم التدخل، وهو أمرٌ ليس باليسير؛ فصعوبة توثيق شهادات وقصص المعتقلين وما يدور من تفاصيل في السجون ووقع كل ذلك على النفس كاف بحدّ ذاته، فكيف إن كانت امرأة تنقل أهوالاً حلّت على رؤوس نساء أخريات.

"في السجون حجّيّات، وفي السجون علماء وأطباء ومهندسون ومعلمون، وفي السجون أمهات حنونات، في السجون حائرات مثلي، وفي السجون نساء مبدعات ومخترعات".

سنوات متقطعة من الاعتقال بدأتها "لولا الآغا" بعد معاناة نزوحها وعائلتها من حي صلاح الدين في حلب إلى أحد الأحياء القريبة الواقعة تحت سلطة نظام الأسد، ليكون فرع المخابرات الجوية شاهداً على جولات التعذيب، التي انتهت بعد فترة قصيرة بخروجها، ثم ما لبثت أن تعود لممارسة حياتها، حتى تم اعتقالها للمرة الثانية عقب وشاية أقرب الأقرباء وهو أخو زوجها. تُنقل بطلة رواية "الوشم" بين سجون وفروع أمنية عديدة، وفي كل انتقال تعود في التعذيب والتنكيل إلى نقطة الصفر.

مقتل زوجها تحت التعذيب، اختطاف أولادها الأربعة، الوحشية التي مورست عليها، الحالة الصحية المتردية في السجن، المقاومة التي أبدتها البطلة للعودة إلى أطفالها.

"أولادي! يأتوني في الحلم. رؤيا واحدة تتكرر كل ليلة.. أنا في وادٍ عميق وحولي ضباب كثيف وأضعت أولادي.. أسمع صوت حمودة، ماما أنا هنا! ولا أراه، وأسمع صوت سعد: ماما تعالي! وأدور.. وأبحث.. ولا أراه. ثم صوت نورا: ماما أنا خائفة! هاجر الصغيرة تصرخ وأسرع مخطوفة هنا وهناك، ولا شيء إلا الضباب. أستيقظ مذعورة وكلي إيمان بأن أولادي ضائعون ومنفصلون عن بعضهم".

الرواية ليست فقط شهادة كاملة وواضحة عن إجرام وطغيان أركان النظام، بل هي وثيقة ستبقى تؤرخ سيرة كل معتقل نجى أو لم ينجُ من دهاليز الظلم الأسدية.

عن الرواية والكاتبة:

صدرت الرواية عن دار موزاييك للدراسات والنشر في تركيا، حيث جاءت في 246 صفحة من القطع المتوسط.

منهل السراج:

كاتبة وروائية سورية من مواليد حماة عام 1964، حاصلة على إجازة في الهندسة. تعيش في السويد منذ عام 2006. فازت بالمركز الثالث عن جائزة الرواية الصادرة من دائرة الثقافة في الشارقة عام 2002. هي عضوة اتحاد الكتاب السويدي منذ عام 2006. كاتبة في مجلة الرافد الإماراتية. عملت أبحاثاً في تاريخ العلوم التطبيقية عند اليونان والعرب، خاصة علم الحيل (ميكانيكا).

لولا الآغا:

تنحدر "لولا خليل الآغا" من منطقة "صلاح الدين" في مدينة حلب ومن مواليد سنة 1984. بدأت نشاطها الثوري من خلال مظاهرة أقيمت عند جامع "أوس القرني" في "صلاح الدين" عام 2012 وتواصلت مشاركاتها في المظاهرات السلمية بعد ذلك، وتعرضت لاعتقال أول بتاريخ 20/10/2013 عندما داهم عناصر من فرع المخابرات الجوية منزلها الذي كانت تسكنه في محطة بغداد بعد أن نزحت من منطقتها وتم اعتقالها -كما تقول- من بين زوجها وأطفالها.

والاعتقال الثاني كان بتاريخ 17/2/2014 في فرع الأمن العسكري بحلب، وفي اليوم التالي تم اعتقال زوجها من قبل فرع الأمن السياسي بحلب، ودام اعتقالها لمدة 3 سنوات بتهمة المشاركة في المظاهرات ودعم الإرهاب وكتم معلومات وتم الإفراج عنها بتاريخ 13/12/2016.

الصيف في إدلب ضيفاً محبباً

••• تتمة من صفحة 12

••• جداً.

كما يعتبر موسم الصيف هو الفرصة الأفضل التي تزدهر فيها مهنة البسطات والبائعين الجوالين على العربات، حيث تسهم عوامل عدة في ذلك منها استقرار الأحوال الجوية، وانتعاش مهن تميز فصل الصيف وتناسبها العربات، كبيع المشروبات المنوعة كالتمر هندي والسوس والجلاب، وعرانيس الذرة، والبوظة، وقوالب الثلج المخصصة لتبريد المياه، بالإضافة لسهرات الصيف التي تدفع الأهالي للتنزه خارج المنازل والإقبال على شراء بضائع البسطات التي تتوفر قريباً من بيوتهم، كما أنها تقدم مأكولات لا توفرها المحالات كما أنها أرخص ثمناً.

يقتنص أبو مهاب مهجر من ريف المعرة ويقيم في إدلب، فترة الأعياد التي يسمح بها مجلس إدلب للعربات بإشغال الأرصفة، يضع على عربته الصغيرة المثبتة على رصيف قرب إحدى الحدائق معدات لتحضير البطاطا الطازجة، "لا يمكنني التنقل بعربتي، فبضاعتي تعتمد على النار والزيت ويصعب علي التنقل" يقول أبو مهاب.

يحضر الرجل على عربته المتواضعة "بطاطا شيبس" عبر تقطيع حبات البطاطا ذات النوعية الجيدة، كالحلقات ويبقيها متصلة ببعضها، وثم يغرس بمنتصفها عود خشبي كي لا تبتعد عن بعضها، ويضعها بالزيت الحامي، وأمامه بهارات لنكهات مختلفة وعبوات من الكتشب، يضعها على أعواد البطاطا الناضجة.

لا يتجاوز سعر أعواد البطاطا التي يعدها أبو مهاب 5 ليرات تركية، وتجذب الفتيات اللواتي يستمتعن بطعم الشيبس ويلتقطن الصور وهن يحملهن بأيدهن.

لا تقتصر العربات والبسطات على بيع المأكولات الجاهزة، لا سيما بفصل الصيف الذي يتميز بفاكهته المتنوعة، والتي هي غالباً محاصيل محلية كالبطيخ والخوخ والدراق، ما يجعلها رخيصة نسبياً، ويمكن العمل في تجارتها على عربة متنقلة أو ببسطة على مفترقات الطرق الرئيسية.

رغم أن الحر يشكل عبءً إضافية لسكان محافظة إدلب، مع ضعف الخدمات وارتفاع أسعارها، إلا أن الصيف أصبح ضيفاً محبباً لعشرات العوائل مع فرص العمل التي تؤمن دخل جيد لأصحابها، ولا تتوفر لهم بفصل الشتاء.

المسرح وآمال التّغيير
"بروفة لسقوط بغداد أنموذجاً"

ياسمين نهار

كلّ فنّ هادف هو محاولة للإجابة عن سؤال ما، وقد عبّركتّاب المسرح عن أسئلتهم المُقلقة المُحيّرة عن طريق استحضار حوادث تاريخيّة مهمّة، أو عن طريق الأسطورة، أو عن طريق عرض الواقع ونقده بأسلوب فنّيّ.. الخ. والمهمّ هو أن يكون الكاتب المسرحيّ قادراً على عرض إشكاليّات الواقع الرّاهن بأسلوب عميق قادر على التأثير والتّغيير.

ويبدو لي أنّ مسرحيّة "بروفة لسقوط بغداد" تضعنا أمام سؤال مؤلم وصعب: لماذا حركة التّاريخ عندنا تأخذ شكل دائرة بينما الأمم الأخرى تاريخها صيرورة واندفاع إلى الأمام؟ يحاول الكاتب المسرحيّ والقاصّ والرّوائيّ العراقيّ ناهض الرّمضاني أن يجيبنا بأسلوب فنيّ راقٍ عن هذا السّؤال وعن سؤال آخر يتجسّد أمامنا جرحاً نازفاً لم يلتئم وهو: لماذا سقطت بغداد قديماً وحديثاً؟

ومن اللّافت للنّظر أنّ أسباب سقوط بغداد كانت هاجس الكاتب بدءاً من العنوان الذي يشكّل نقطة الالتقاء الأولى بين النّصّ والمتلقي، ويعدّ مفتاحاً للدخول إلى عوالم النّصّ وتوجيه فاعليّة القراءة. والإهداء أيضاً لم يأت معزولاً عن ماهيّة النّصّ المسرحيّ؛ بل نهض بالعمل وبيّن مكانة المُهدى إليه (بغداد) بالنسبة للكاتب: "إلى بغداد.. إلى بغداد التي ينبغي لها أن تنهض أبداً من أجل الجميع ومن أجلي".

والحقيقة أنّ المسرحيّة تعرض أداء مجموعة من الطّالبات لـ"بروفة" عرض مسرحيّ عن سقوط بغداد بيد المغول. إذ يتخلّل التّدريب على عرض المسرحيّة نقاش بين الطّالبات ومدرّسهنّ الذي قام بتأليف المسرحيّة والإشراف عليها.

تصوّر المسرحيّة تفرّد الخليفة العبّاسيّ المستعصم بالحكم، وعدم إشراكه الشّعب في صنع القرار، وعَرَضَه المؤلّف -كما كان في الواقع- شخصيّة ثابتة، غارقة في الملذّات، لم يسعَ لتأمين حدود بلاده؛ بل سرّح عدداً كبيراً من جنوده، وترك الباقين يتسوّلون في الشّوارع. أمّا الشّعب في عهده فقد استبدّ به الفقر والجوع والفساد والعنف الطائفيّ.

ويمكننا أن نتوقّف عند أمر ساعد المغول على احتلال عاصمة الخلافة العبّاسيّة بغداد وهو وجود حاشية فيها عدد من الخونة منهم الوزير العلقمي وكان له من اسمه نصيب؛ لأنّه تعاون مع هولاكو وسهّل له دخول بغداد.

غير أنّ الكاتب اجتنب الوقوع في صورة مثاليّة تضعف مسرحيّته: الأخيار أخيار حتّى النّهاية، والأشرار متمادون في غيّهم حتّى النّهاية؛ لذلك عرض العلقمي في نهاية المسرحيّة حزيناً نادماً على فعلته رغم رغبته بالانتقام وطمعه بالحكم. ومن الملاحظ أن المدرّس ابتكر شخصيّة تتسم بالنّزاهة، إلّا أنّها كانت مندفعة وغير متعقّلة، قادها تهوّرها إلى الهلاك هي شخصيّة عزّالدّين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الكاتب استعان بمرحلة من مراحل التّاريخ حين استحضر احتلال هولاكو لبغداد، واستباحة جيشه المدينةَ قتلاً ونهباً وحرقاً. ذلك أنّ فكرة اللّجوء إلى التّاريخ كثيراً ما يتناولها الكتّاب حين يريدون نقد الحاضر، وما سقوط بغداد بيد المغول إلّا قناع للتّعبير عن الدّمار والويلات والفوضى بعد الغزو والسّيطرة العسكريّة لأمريكا وبريطانيا على العراق عام 2003م وقد أدّت هذه الحرب إلى خسائر ماديّة وبشريّة هائلة، وانزلاق البلاد في صراع طائفيّ.

وحين سألت إحدى الطّالبات المدرّس عن سبب لجوئه إلى التّاريخ أجابها: "لا بدّ من الحذر.. لا أريد تجاوز الخطوط الحمراء، عندها لا أحد يعرف ما قد يحدث، ربّما لن أتمكّن من عرض عملي حتّى على هذه الخشبة وربّما جرّ عليّ الويلات" ص42 وهذا المقتبس دليل واضح على الدّور السّلبيّ للرّقابة وما تفرضه من قيود على المبدعين، بدءاً من منع نشر الأعمال الهادفة، وتشجيع الأعمال التي تخدّر القارئ أو المتفرّج، وتجعله يعيش في عالم تافه وهميّ، وانتهاءً بملاحقة المبدعين أو تصفيتهم.

ومن الضروري كذلك أن أشير إلى القطع المتكرّر في "بروفة" المسرحيّة التّاريخيّة بسبب الحوارات التي كانت تتمّ بين الطّالبات ومدرسهنّ الذي قام بتأليف العرض المسرحيّ ومع اكتمال القراءة نكتشف أنّ الحوارات جزء أساسيّ من نصّ مسرحيّة الرمضاني. ساهمت هذه الحوارات في كسر البناء الخطيّ لتوالي الأحداث، ونأت بالنّصّ عن النّمطيّة والرّتابة. بهذا المعنى يكون الرّمضاني قد وضع الحدث التّاريخيّ داخل إطار خارجيّ تجري أحداثه في العصر الحاليّ. وصيغة المسرحية داخل المسرحيّة حيلة درامية استقاها كتاب المسرح من الكاتب والشّاعر والمسرحيّ الإيطالي (براندييللو) بعد أن صبغها كلّ منهم بإيقاعه المسرحيّ الخاصّ.

ونظراً لإيمان الرّمضاني بالشّباب وقدرتهم على التّغيير، جعل الطّالبات يقدن الموضوع إلى وجهة جديدة ذلك أنّه لم يحصر الأحداث ضمن مرجعيتها التّاريخية بل سعى إلى إبراز أبعاد جديدة للموضوع من خلال ما عرضته الطّالبات من انتقاد للمسرحيّة.

إذ نتأمّل أحداث المسرحيّة نرى أنّ الطّالبات رفضن أن يمثلنَ سقوط بغداد على خشبة المسرح، لأنّ ردّة فعل الجمهور العاطفيّة لم تعد تعنيهنّ فهنّ يدركنَ أن الاستبداد حوّل النّاس إلى أشخاص منفعلين لا فاعلين يكتفون بالبكاء والتّصفيق دون أن يفعلوا أيّ شيء على أرض الواقع.

وما يلفت الانتباه بوجه خاصّ في المسرحيّة هو: الصّراع بين الموقف الثّابت من الأشياء المتمثّل بدور المعلم وبين الموقف المتجاوز المتمثّل بدور الطّالبات لذلك لم يكن من الغريب أن ترفض الفتيات الأجوبة الجاهزة التي قدّمتها مسرحيّة مدرّسهنّ؛ لأنّ الرمضاني يرى أنّ مهمّة الشّباب نقد التّاريخ وتجاوز عثراته من أجل صناعة تاريخ جديد، ينتفي فيه الظّلم والعدوان والاستبداد هكذا تكون المسرحيّة قد هزّت الصّورة النّمطيّة للمدرّس (كليّ المعرفة) الذي يعتلي المنبر ويملي على طلّابه ما يريد، بينما الطّلّاب يكتفون بالإصغاء والقبول دون إبداء الرّأي أو المشاركة في اتّخاذ القرار.

وليس هذا فحسب فقد ركّز الرّمضاني على وظيفة مهمّة من وظائف الأدب وهي تسليط الضّوء على الجوانب المشرقة والملهمة في تاريخنا ولاسيّما حين تساءلت إحدى الطّالبات عن سبب غياب شخصيّة تاريخيّة حقيقيّة في المسرحيّة هي الشّاعر الصّرصري إذ تقول كتب التّاريخ إنّ الصّرصريّ شاعر ضرير قاوم المغول بالحجارة كي لا يدخلوا بيته حتّى نال شرف الشّهادة.

ومن المهمّ الإشارة أيضاً إلى إيمان الكاتب بدور المرأة وقدرتها على التّغيير، لذلك جعل الفتيات يرفضن المشاركة في العرض بعد أن علمن أنّ مدرسهنّ تعمد اختيارهنّ لأداء أدوار الرّجال ليوصل فكرة مفادها أنّ المستعصم والعلقميّ وغيرهم كانوا رجالاً بلا رجولة؛ وليس أدلّ على ذلك من قول الطّالبة التي مثّلت دور العلقميّ: "العلقميّ: أرجو ألّا تطلق عليّ هذا الاسم ثانية.. اسمي فاطمة، ابحث عن رجل لا يستحقّ رجولته ليمثّل هذا الدّور، ربّما لم يكونوا رجالاً فعلاً لكنّهم لم يكونوا نساء بالتّأكيد" ص61.

فضلا عن أنّ الكاتب جعل الفتيات يرفضن إعادة إنتاج التّاريخ ويصنعن قصّتهنّ الخاصّة بذلك يكون قد أخرج عمله من أفق مسدود تشاؤميّ إلى أفق آخر ينبض فيه الأمل. فالهويّة الإنسانيّة ليست ثابتة أو متكرّرة، بل هي انفتاح على كلّ جديد وتطلّع إلى المستقبل. وكلّ هويّة تؤطّرها الأيديولوجيا أو الماضي مصيرها إلى زوال.

بهذا المعنى يكون الرّمضاني قد اضاف موازيات جديدة إلى الوقائع التّاريخيّة الحقيقية والمتخيّلة والحقيقة أنّ النّصّ التّاريخيّ -مهما بلغ من الأهميّة- لا يمكن أن يقنع المتلقي إلّا إذا عالج المسرحيّ من خلاله قضايا معاصرة تهمّ الإنسان المسحوق المقموع؛ شريطة أن يُصاغ بأسلوب فنيّ مشوّق يجذب المتلقي ويثير لديه الأسئلة.

والكاتب لجأ إلى اللّغة المسرحيّة المُبسطة ليوصل أفكاره بيسر وسهولة، لأنّ الاتصال المباشر بين الممثّلين والجمهور يحدّ من شاعريّة الحوار.

وفي ضوء ما تقدّم نرى أنّ الرّمضاني رفض استخدام التّاريخ استخداماً سطحيّاً من أجل التّفريغ وتخدير المتلقي؛ بل أخذ يحرّض الشّباب في مسرحيته على إعادة النّظر في تاريخنا، ووضعه في موضع التّساؤل والنّقد والرّفض لكلّ ما أعاق تقدّم أمتنا، وكأنّه أراد أن يقول لنا إنّ الفنّ لا يتناول الماضي أو الحاضر من خلال ما قدّم من أجوبة جاهزة. فالفنّ الحقيقيّ لا يقدم وعياً جاهزاً بل يبني وعياً حين يبتكر أسئلة جديدة من أجل الحصول على إجابات قد تكون غير نهائيّة؛ لكنّها تلبي تطلّعاتنا إلى مستقبل قادر على تجاوز نفسه باستمرار.

طلعنا عالحرية